

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)

الانفال: 20

معاني الكلمات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ " بامتنال أمرهما واجتناب
نهيهما .

"وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ " أي: عن هذا الأمر الذي هو طاعة الله، وطاعة
رسوله .

"وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ " ما يتلى عليكم من كتاب الله، وأوامره،
ووصاياه، ونصائحه . فتوليكم، في هذه الحال، من أقبح الأحوال.

المعنى الإجمالي:

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله الخطاب
للمؤمنين المصدقين . أفردهم بالخطاب دون المنافقين إجلالا
لهم . جدد الله عليهم الأمر بطاعة الله والرسول ، ونهاهم
عن التولي عنه . هذا قول الجمهور .

وقالت فرقة : الخطاب بهذه الآية إنما هو للمنافقين . والمعنى
: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم فقط . قال ابن عطية : وهذا
وإن كان محتملا على بعد فهو ضعيف جدا ؛ لأن الله تعالى
وصف من خاطب في هذه الآية بالإيمان .

والإيمان التصديق ، والمنافقون لا يتصفون من التصديق
بشيء . وأبعد من هذا من قال : إن الخطاب لبني إسرائيل ،
فإنه أجني من الآية .

قوله تعالى **ولا تولوا عنه** التولي الإعراض . وقال عنه ولم
يقبل عنهما لأن طاعة الرسول طاعته ؛ وهو كقوله تعالى
: والله ورسوله أحق أن يرضوه .

وأنتم تسمعون ابتداء وخبر في موضع الحال . والمعنى :
وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم من الحجج والبراهين في
القرآن .

ولما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى
الإيمان الذي يدركون معيته فقال: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ** " بامتنال أمرهما واجتناب نهيهما . وَلَا
تَوَلَّوْا عَنْهُ " أي: عن هذا الأمر الذي هو طاعة الله،
وطاعة رسوله .

"وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ " ما يتلى عليكم من كتاب الله،
وأوامره، ووصاياه، ونصائحه .

فتوليكم، في هذه الحال، من أقبح الأحوال.

التَّوَلَّوْا الإِعْرَاضَ . وَقَالَ " عَنْهُ " وَلَمْ يَقُلْ عَنْهُمَا لِأَنَّ
طَاعَةَ الرَّسُولِ طَاعَتَهُ ؛ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : " **وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ** " [التَّوْبَةُ : 62] وَالْمَعْنَى : وَأَنْتُمْ
تَسْمَعُونَ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ فِي
الْقُرْآنِ .

أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله
فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تركوا طاعة الله وطاعة
رسوله، وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم في القرآن من
الحجج والبراهين.

ولا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة الله ورسوله محمد
صلى الله عليه وسلم كالمشركين والمنافقين الذين إذا
سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا: سمعنا بأذاننا، وهم في
الحقيقة لا يتدبرون ما سمعوا، ولا يفكرون فيه.

وعلامه الصدق : إتباع رسوله صلى الله عليه وسلم
في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين
وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل
على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر
له ذنبه، ورحمه وسده في جميع حركاته وسكناته،
ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى؛ لأن محبته
لله توجب له إتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل
على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها مع أنها على
تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية
يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من إتباع
الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من
ذلك نقص

يُؤَخِّدُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنَّ عَلَامَةَ الْمَحَبَّةِ
الصَّادِقَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هِيَ
إِتِّبَاعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالَّذِي يُجَالِئُهُ
وَيَدَّعِي أَنَّهُ يُحِبُّهُ فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ؛ إِذْ لَوْ كَانَ مُحِبًّا لَهُ
لَأَطَاعَهُ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ عِنْدَ الْعَامَّةِ : أَنَّ الْمَحَبَّةَ
تَسْتَجْلِبُ الطَّاعَةَ .

قال ابن سعدي - رحمه الله - : "يا أمر - تعالى -
المؤمنين بأمر به تتم أمورهم، وتحصل سعادتهم
الدينية والدنيوية وهو: طاعته وطاعة رسوله في
أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتثال الأمر،
واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص،
وقام المتابعة؛ وأخبر - سبحانه - بأن طاعته هي
طاعة الله - عز وجل - فقال - تبارك وتعالى (مَنْ
يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا
أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (8)



فوائدها من سورة الأنفال

20

تهدي ولا تباع

ولا تسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزيمي إبراهيم عزيز

تُصِيبُهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [42]، وهذا وعيد شديد لمن حاد عن أمره صلى الله عليه وسلم واتبع هواه.

10- الإيمان يَدْعُوا إلى طاعة الله ورسوله. كما أن مَنْ لم يُطِيع الله ورسوله فليس بمؤمن. وَمَنْ نَقَصَتْ طَاعَتَهُ اللهُ ورسوله، فذلك لنقص إيمانه.

11- أخي في الله، أَمَرَكَ اللهُ تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلماذا لا تُجيب؟! ولماذا تُصِرُّ على المعصية؟! ليست الاستقامة على الدين بتلك الصعوبة التي تظنُّها، وليس الدين تشدُّداً ولا ترمُّداً، ولا تقييماً للحُرِّيات، ولا كَيْباً للطاقات، ولا سَجناً تُنفَّذُ فيه العقوبات. الدين حُرِّيَّةٌ في حُدُودِ الشَّريعة، ودَعْوَةٌ للخير والبرِّ، وأعمالٌ يسيرة، تسالُّ بها أجوراً كبيرة. فهِبَا أَقْبِلْ على الله طائِعاً، وعلى ماضيك نادِماً، ورضاه طالِباً، ولِغَفْوِهِ راجِئاً، ولِحُبَّتِهِ عامِلاً، فإِنَّمَا مَهْمَا طَالَ فهو قصير، وحياتك مهما طالت فلا بُدَّ أن تنتهي. والدُّنيا فُرْصَةٌ للعمل والتزوُّد من الحَسَنَاتِ لِيَوْمٍ لا تنفعُ فيه إلا الأعمال، ولا يقبَلُ منها إلا ما كان صالحاً، ولوجه الله خالصاً. ومن حين مَوْتِكَ، سيرحلُ عنك كُلُّ شيءٍ، الزوج والمال والولَدُ، إلا عملك، فإنه سيدخلُ معك قبرك، قال صلى الله عليه وسلم:)) يَتَّبِعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنان وَيَبْقَى معه واحدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ ومالُهُ وعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ ومالُهُ وَيَبْقَى عمله ((متفقٌ عليه.

12- والتزموا طاعة الله وطاعة رسوله في كُلِّ أحوالكم، ولا تختلِفُوا فتسفرَّقَ كلمتكم وتختلِفَ قلوبكم، فتضعفُوا وتذهب قوتكم ونصركم، واصبرُوا عند لِقَاءِ العَدُوِّ. إنَّ الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلهم.

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الفوائد :

- 1- إن من وجوب الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وتُصَدِّقُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ : وجوب طاعته؛
- 2- الأسوة نوعان : أسوة حسنة وأسوة سيئة، فالأسوة الحسنة : في الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة، كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسي بهم " : إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا على أُمَّةٍ وَإِنَّا على آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ" [الزخرف/22] .
- 3- يجب علينا : أن نُصدِّقَهُ صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، ونُطِيعَهُ فيما أمر، ونبتعد عما نهي عنه وزجر، وأن نعبُد الله على وفق سنته صلى الله عليه وسلم، وأن نفتدي به دون غيره.
- 4- جعل الله تبارك وتعالى الاهتداء مقروناً بطاعته
- 5- في القرآن كثير في نيف وثلاثين موضعاً أوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقرنها مع طاعته عز وجل .
- 6- الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، واتبع سنته، ولزم طريقته؛ فإن طُرُق الخيرات كلها مفتوحة عليه .
- 7- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) امر مباشر بطاعة الله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .
- 8- أن هذه الآية العظيمة تدل على أن الحياة بالاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم، وأن من لم يستجب لله ورسوله فهو من الأموات، وإن كان حياً بين الناس، حياة البهائم.
- 9- أن الهداية في طاعته، واتباع ما جاء به، ولا شك أن طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله عز وجل، واتباع لكتابه العظيم، كما قال سبحانه { مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ [41] {الآية. وقال في آخر سورة النور { فليخذر الذين يخالفون عن أمره أن